"جاذبية" 2014م.. بدون جاذبية

محمد الوشلي

في عام 1972 م لم يكتف فيلم " سولاريس" بنزعته في تقديم قصة محشورة داخل علبة منزوعة الأوكسجين في مكان أشبه بالفضاء ، لقد صنع من رواية ستانسلاف الكثير من الحًوارات الدافئة حول الحياة والذاكرة والعلاقات الإنسانية المبللة بالمشاعر ،وبقدر كل تلك الخلفيات الرسومية التي عكست أفكاراً فاتنة إلّا أن تاركوفسكي استخدمها في تفعيل البُعد القصصي بعيداً عن إبرازها كفيلم مستقل .

وبعكس الكلاسيكية " أوديسي الفضاء:2001"للمخرج ستانلي كوبريك كان الإنسان غير معجبٍ تماماً بنفسه ، كانت تلك الوحدة القارسة امرأة وذاتٌ مكسّرةٍ وكثيرٌ من الأسئلة الغريبة ،لم تضع نسخة "ستيفن سودسبيرغ" في العام 2002م قائمتها الخاصة ضمن مسودة إعادة الصنع "Remake" ولجأت إلى المصدر في تأكيد النزعة الفنية ، لكنها لم تخلص إلى نفس المجابهات النفسية والفلسفية ، حسناً كانت نسخة غامضة ومسلّية لكنّها لم تكن مؤلمة أبداً .

كثيرٌ من أفلام الفضاء كانت خاوية ، في أكثر من 500 فيلم بينها 66 فيلماً تتعامل مع التحوّل إلى مشردٍ بائس لا يعرف ماذا يفعل هنا بالضبط ، كان هناك سلسلة " Alien " وسلسلة "Riddick" وفيلم ريدلي سكوت " برومثيوس" وحتّى بعض أفلام "ستارتريك" وكان هناك تلك الفكرة ، أقصدُ الخوف من الاحتمالات والكثير من الثرثرة بين الإيمان وعدمه ، بين الإنسان والقوة والعدم .

يمكنك الإستيقاظُ من هذا الهذيان على فضائي عجوز يخلقُ الموسيقى ويجعلها البداية ، هذه هي "جاذبية" ستيفن برايس الذي عاد بعد سنوات من تأليفه لتلك الموسيقى الساحرة في " Attack the block " وكذلك الفيلم الكوميدي الرائع "The world's end" ، "جاذبية" يعتقد البعض أنّها تجمع "Deliverance," "127 Hours," "Cast Away," "Rescue Dawn" في مكانٍ واحد ، الكارثة ، والوحدة ، والمغامرة، والنجاة ربّما ، كل هذه الأشياء التي جعلت "تارنتينو" المجنون يضعه في قائمة أفلام السنة بينما توجّه " جيمس كاميرون" عرّاب " أفاتار" بنظراته إلى داخل ملامح " الفونسو كوران " الطيّب ومخرج هذا الطرح ليقول له " حسناً ، هذا أفضل فيلم فضاء" ، بالنسبة لي لأفضل فيلم فضاء وبعيداً عن " جاذبية" ستيفن برايس فقد كان الفيلم أمراً يمكن نسيانه ، هذه هي النتيجة التي قد لا يؤمن بها محبّي العاب الفيديو كون الكثير ممن عملوا مع " الفونسو" هم في الأساس يعملون في تصميم الألعاب بمحركات مختلفة مثل " Unreal Engine" و " Fox Engine" و " Ignite Engine" ، هذه المحركات التي قد تصنع ثورة بصرية فاتنة لكنّها لن تستطيع أبداً صنع فيلمٍ سينمائي عظيم .

لست مستاءً من " الفونسو" الذي عاد بعد غياب 6 سنوات كان قد أدهشنا قبلها بثورات بصرية مشابهة مثل الذي حدث في "Harry Potter and the Prisoner of the Azkaban" وإن كان "أطفال الرجال" أفضل منه ، لست مستاءً من دخوله الرهان بقطعتين ذهبتين مثل " جورج كلوني" و " ساندرا بولوك " فقط وترك كل الكلمات الكبيرة عالقة في مكانٍ آخر خارج الفيلم ، ترك كل تلك القصص الصغيرة التي يمكن توظيفها لجذب بعض الحمقى من حانات الحياة ، لست مستاءً فتلك طبيعة " الفونسو" القديمة وهذا هو ما يمكن تسميته فيلم فضاء يتّسم بالبساطة والمباشرة والسيناريوهات التي لن تشعر أبداً أنّها مدبّرة ، لست مستاءً أنّ جوائزه في حفل الأكاديمية انحصرت في التصوير ومونتاج الصورة والصوت والدمج والمؤثرات البصرية ، هذه أمورٌ كانت جاذبيتها طاغية ، لست مستاءً فهذه هي الأشياء التي تجاوزت كل شيء آخر في الفيلم حتى الفيلم نفسه .

تركتني هذه " الجاذبية " مرتبك فعلاً ، في لحظة أشعر أنّها أخفقت في تقديم صورة إنسانية أكثر عمقاً ، ثم اسأل نفسي عن ما يمكن للإنسان العادي قوله في موقف مثل هذا ، أشعر أن " ألفونسو كوران" راهن على الفضاء ولم يراهن على أبطاله وبعد لحظات أقول من قد لا يفعل ذلك ، وحتّى تلك النزعة السياسية أغرت " كوران" حين وضع المشكلة برمّتها على عاتق مكوك روسي متشرّد ، هل كان هذا الأمرُ ضرورياً ..؟! ، هناك مئات الأسباب التي قد تضع الإنسان في مشكلة على بعد حنين من كوكب الأرض ، كوكب الأرض نفسه الذي قد يقتل العائدة من الفضاء د. ريان ستون(ساندرا بولوك) عندما استقبلها ووضعها في مكانٍ كان هو الأكثر رعباً على الإطلاق لكن على الأقل هناك جهات كثيرة يمكن الركض نحوها .

جاذبية فيلمٌ مدهش في الكثير من الجوانب التقنية وحتّى في ما أمكن جورج وساندرا عمله ، لكنّه في أماكنٍ حرجه وجد نفسه بدون جاذبية.

العمل الفني كمقذوف ناري

والتر بنيامين

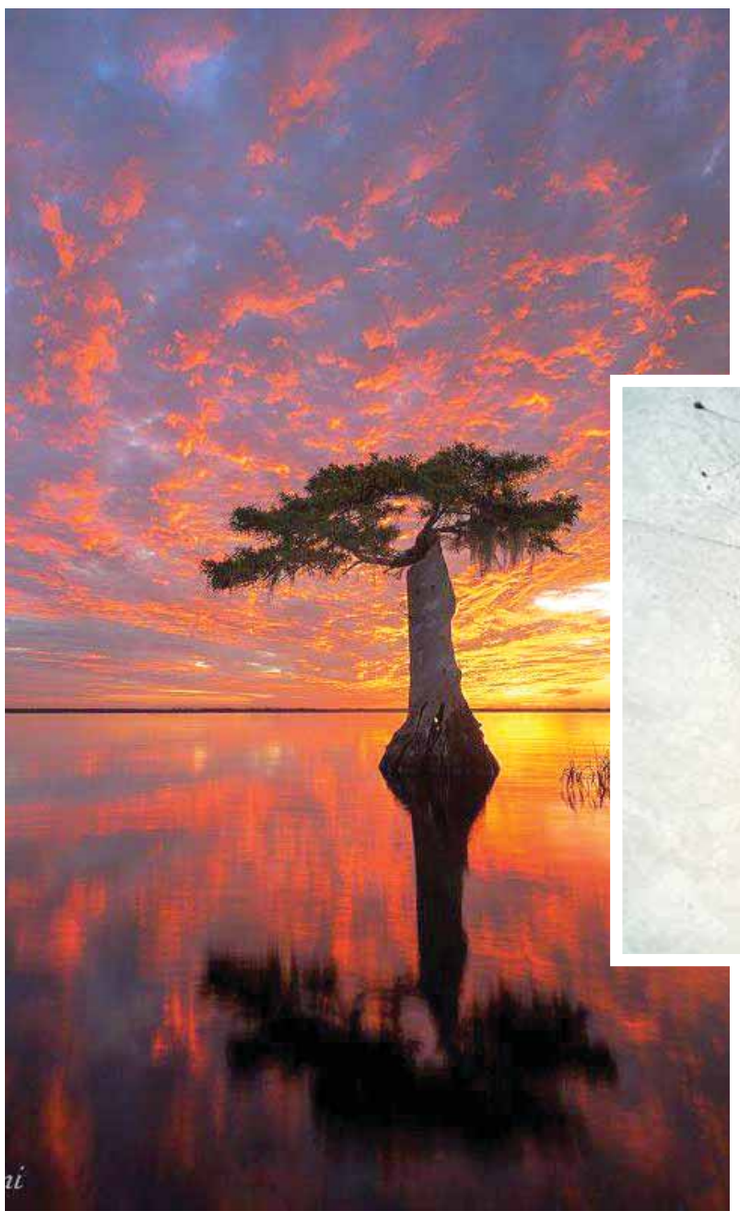

إن إحدى أهم وظائف الفن منذ القدم هي طرحه لمسألة لم تحن بعدُ ساعةُ تقبلِها كلياً. وفي تاريخ كل شكل من أشكال الفن أوقات عصيبة يطمح فيها ذلك الشكل إلى إحداث تأثيراتٍ ليس لها أن تنشأ إلا في مستوى تقني متغير، وهذا يعني في شكل فني جديد. إن أشكالاً فنية من ذلك النوع الخانع، لاسيما التي نشأت في ما يسمى بعصور الانحطاط، كـExtravaganz و Krudit?t، هي في الحقيقة نابعة من أغنى قوة تأريخية لها. لقد انتهى المطاف بالدادائية(***) أنها غصت تماماً ببربريتها تلك. أما دافعها فقد اتضح الآن فقط. حاولت الدائية، من خلال الرسم (والأدب أيضاً)، إحداث التأثيرات ذاتها التي يبحث عنها جمهور اليوم في السينما.

ترجمه عن الألمانية:
نشوان محسن دماج

وكل طرح مستجدّ واستباقيّ سيُغالى من شأنه كثيرًا. بل إن مغالاة الدادائية من شأن نفسها تبلغ مستوى تُضحّي فيه بقيم السوق، المقدسة بالنسبة للسينما، لصالح نواياها الأكثر أهمية -والتي من البديهي أنها في شكلها التوصيفي غير معروفة عندها. كان الوزن الذي أعطاه الدادائيون للاستفادة من أعمالهم الفنية تجارياً أقل بكثير من الوزن الذي أعطوه للإبقاء عليها (مشاعيتها) كمواضيع للتبحر. ولعمري إنهم، بانحطاط مادتهم أصلاً، آخر من يتحدث عن بلوغ تلك الحالة من المشاعية. إن قصائدهم عبارة عن «سَلَطة كلام»، تتضمن عبارات سليطة فاحشة، وتحوي كل صنوف أي انحطاط متصور للغة ما. لوحاتهم كذلك ليست شأناً آخر، تلك التي كانوا يُلحقونها بـالأزرار أو بتذاكر السفر. أما ما وصلوا إليه بوسائلهم تلك فليس سوى إبادة لا ترحم لأورا نتاجهم، الذي من خلال وسائل الإنتاج وَسَمُوه بوسم الاستنساخ. من المستحيل، أمام لوحة لآرب أو قصيدة لأوجوست شترام أو أمام لوحة لديراين أو قصيدة لريلكه، إتاحة وقت لتركيز ذهني أو لرأي. حالة التأمل تلك، التي أصبحت في انحطاط الطبقة الوسطى مدرسةَ سلوكٍ شاذ (خارج عن المجتمع)، قابلتها حالة من التلهي كشكل من أشكال السلوك الاجتماعي. في الحقيقة كانت المؤتمرات الدادائية (الاحتشادات) تسمح بحالة من المجون الشديد، حين تجعل من العمل الفني محوراً لأي فضيحة. كان حسبه منهم مطلب واحد لا سواه: إظهار استياء علني.

لقد تحول العمل الفني على يد الدادائيين من مظهر مُغرٍ وبنية إقناعية إلى مقذوف ناري يصب على رأس المتأمل. أي أنه اكتسب خاصية حسية. وبهذا كانت تميل إلى السينما، لأن عنصرها الإلهائي في المقام الأول هو عنصر حسي، قائم بالذات على تبدل المواضع ووجهات النظر، تلك التي تنفذ إلى المُشاهد بشكل متقطع. سنجري مقارنة بين شاشة العرض السينمائية والشاشة القماشية التي تُرسم فيها اللوحة. هذه الأخيرة تدعو الناظر إلى التأمل، وبوسعه أمامها أن يستسلم لجريان تفاعله. وليس بوسعه ذلك أمام الصورة السينمائية. فلا تكاد تظهر له، إلا وتكون قد تغيرت. فصورة لا يمكن النظر إليها ملياً. إن دوهامل الذي كان يُكنّ مقتاً للسينما، ولا يفهم أهميتها بقدر ما يفهم تركيبتها، يشير إلى تلك الحالة بقوله: «لم يعد بإمكاني أن أفكر بما أريد أن أفكر به. إن الصور المتحركة حلت محل أفكاري». حيث إن ذلك الجريان التفاعلي في تأمل تلك الصور يتلاشى فور أن تستبدل بأخرى. وهذا ما يقوم عليه الفعل الإسفيني للسينما، والذي يريد لنفسه كأي تأثير صدمة أن يتراكم عبر حضور ذهني متصاعد. بفضل تركيبتها التقنية فإن للسينما فعلها الإسفيني الحسي، تماماً كذاك الذي لدى الدادائية، والمبطن في نفس الوقت بأخلاقيات قد انسلخت عنها.

إمـضـاء
kamalsharf@gmail.com

رسالة عن الرسم إلى الرفيق ريان الشيباني

وسام محمد

شعر بضيق شديد يا رفيق وأفكر في الرسم بأنه الشيء الوحيد القادر على إنقاذ روحي، أتمنى لو أنني رسام، كنت سأعيد ترتيب الأشياء في هذا العالم على نحو يبعث على البهجة، أو يليق بالحزن، بدلا من هذا الضيق الذي لا نعرف لماذا يأتينا دون موعد.

عزيزي لقد صحوت اليوم متأخرا كالعادة، وكنت أرغب في أن لا أخلف وعدي، كما في كل مرة، اتصلت بتلفونك فكان مغلقا، كررت الاتصال دون فائدة، يبدو أن هناك شيئاَ خفياً يمنعني من الاقتراب منك، على الأقل خلال هذه الفترة، فأنا كلما أقول بأني سأخزن معك، يحدث شيء يجعلني أنصرف عن الأمر، ربما لكي لا أنقل لك الكآبة التي أصبحت أحملها مؤخرا كظلي.

لكن يا رفيق اليوم كان يجدر بذلك الشيء الخفي أن يعي أنني لا أفكر سوى في الرسم، حتى الضيق وكل الأشياء السيئة في هذا العالم، أردت أن أجد لها حلا مناسبا من خلال الرسم، ولأني لست رساما، ولا أفهم في الرسم كثيرا، فإن الحديث معك كان سيقتصر عن الرسم فقط.

لقد رغبت في الحصول على أشياء كثيرة في هذه الحياة ولم أحصل عليها قط، وكان مجرد أن تتاح لي الرغبة وتحقيقها في الخيال شيئا كافيا. لم يسبق لي أن تمنيت من أعماقي لو أني رسام، كما حدث لي خلال اليومين الماضيين، أعتقد لو أن هناك أمنية وحيدة تتحقق للمرء في حياته فسأتمنى أن أولد من جديد رساما. هل تعرف أن الرسم ربما هو الخلاص الوحيد الذي أتاحه الرب مقابل كل العذابات الإنسانية التي أمعن في جعلها مرافقة لنا؟ لكني أحيانا أفكر أيضا بأن الرسم قد يكون لعنة، أو صيغة موازية لتلك العذابات. لم أعد أعرف ما الذي أردت قوله تماما؟ ألم أخبرك أن كل الدروب ناقصة؟ فمثلا لو كنت رساما فإنني كنت سأقدر على توضيح ما أفكر فيه بسهولة، كنت سأرسم شجرة في أسفل التل بألوان كثيرة، من قال أن الأشجار تبقى خضراء عندما تزدحم الأفكار في رؤوسنا؟ كنت سأدع القطيع يسير إلى الخلف كمن يستقبل العيد، ويمر من جوار الشجرة وكأن لا شيء قد حدث، وهي ليست شجرة العيد على كل، لكن الراعي وهو شخص في مثل عمري تقريبا سيبتسم دون أن يوضح ما الذي قد فهمه من كون الشجرة قد رسمت بهذا الشكل، وستكون الفكرة قد عبرت عن نفسها دون حذلقة.

ظـــلال

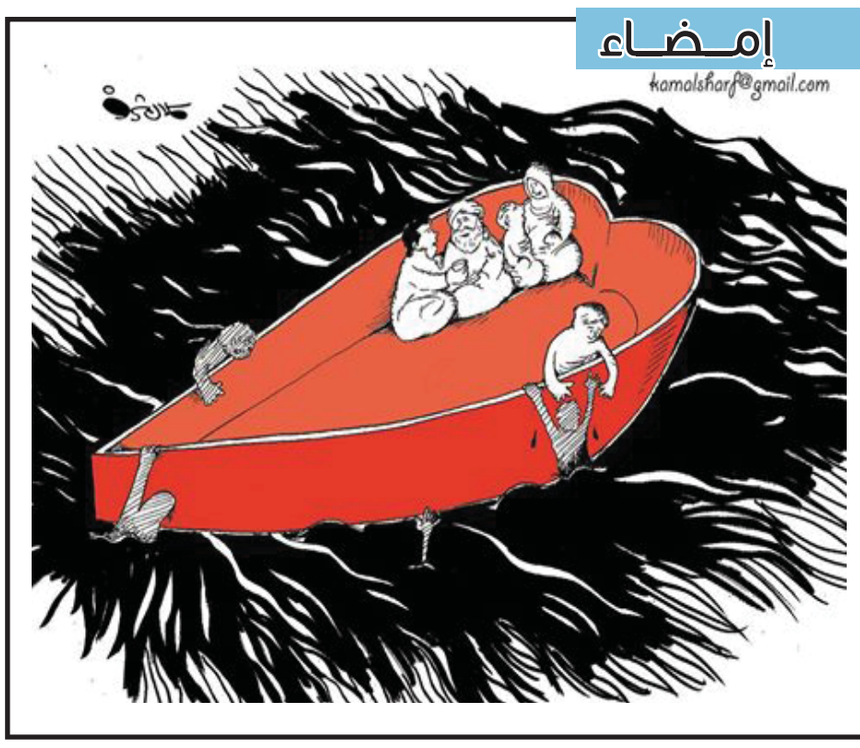

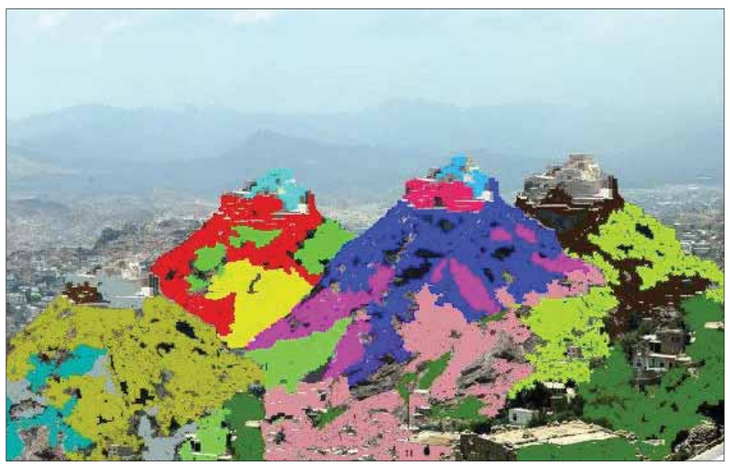

● ريان الشيباني، من مواليد تعز، بني شيبان، فنان تشكيلي ومحرر صحفي بصحيفة الأولى